ردا على مشوهي صلح بريست

صلح بريست كان صلحا تكتيكيا ضمن مسيرة ثورية استراتيجية واضحة ومتبلورة أما الصلح العربي الصهيوني فهو صلح استراتيجي مع الإمبريالية

صلح بريست كان لتثبيت سلطة البروليتاريا أما الصلح العربي ـ الصهيوني فهدفه القضاء على البذرة الثورية التي تولدت بعد عدوان ١٩٦٧

ان « البعض » حين يقارن موقفه الاستسلامي وتبرير تأييده للذهاب الى مؤتمر السلام العربي ـ الصهيوني المقترح ، بموقف لينين حين وقع صلح بريست وبشروط بمنتهى القسوة بالنسبة لروسيا السوفياتيه ، اعتبرها لينين نفسه تنازلا ومساومة من قبله ومن قبل البلاشفة امام الدول الامبريالية ، انما يقوم بعملية تحايل مفضوحه وتزييف لا يستطيع ان يثبت امام الوقائع التاريخية ، كما انها ـ اي عملية المقارنه هذه ـ تشكل تشويها فاضحا لتجارب لينين الثورية وتطبيقها في ظل ظروف مغايرة تماما تجعل منها مواقف اقرب الى الردة منها الى المواقف الثورية الاصيله .

ان هذا « البعض » في محاولته تأييد المواقف الاستسلاميه والانهزاميه ـ يفتش عن المبررات اللينينية ليسند بها بشكل او بآخر دوره الانهزامي ، فيجعل من صلح بريست الذي وقعه البلاشفة في ٣ آذار ١٩١٨ مع دول الحلف الرباعي (المانيا ، النمسا ـ المجر ، بلغاريا ، تركيا) شهادة مزورة يستترون بها انحرافهم عن المنهج الثوري .

يقول لينين في كتابه « مرض اليسارية الطفولي في الشيوعية » :

« هناك مساومة ومساومه ، ينبغي التمكن من تحليل الموقف والظروف الملموسة عند كل مساومه وكل نوع من انواع المساومه . ينبغي على المرء ان يتعلم التمييز بين شخص يسلم الدراهم والسلاح الى قطاع الطرق ليقلل من الشر الذي يحملونه ، ويسهل امر القبض عليهم واعدامهم ، وبين رجل يعطي الدراهم لقطاع الطرق ليشترك في اقتسام الاسلاب » .. ان رفضنا القاطع للمواقف الاستسلامية لهؤلاء « البعض » ودعواتهم الموافقة على حضور مؤتمر السلام، منطلق بالذات من هذه النقطه ، نقطة تحليل الموقف والظروف التي اكد عليها لينين والتي تدعونا الى التصدي بكل حزم لتفنيد كل الادعاءات التي تقول : « بان مؤتمر السلام العربي ـ الصهيوني المقترح هو شبيه بمؤتمر بريست ،ويجوز الذهاب اليه والخروج بصلح مثل ذاك الذي خرج به لينين » .

ان توقيع صلح بريست عام ١٩١٨ والذي اعتبر تنازلا كبيرا من البلاشفه برره لينين بجملة موضوعات متعلقة بالظرفين الداخلي الخارجي تختلف ا عن الظروف ـسها الوطن ن ، وهي :

أ ـ الظرف الداخلي

١ ـ لقد عاشت روسيا وضعا قاسيا ، اذ ان الجمهورية البلشفية لا زالت وليدة لم تقف على قدميها بعد . وقد جابهت هذه الجمهورية مجموعة هائلة من المشاكل والمآسي التي تركها الحرب ، كان عليها ان تتصدى لها بكل حزم وصلابة ، حيث ان ثبات ونجاح الثورة البلشفية كان موقوفا على القدرة الحقيقية للتصدي لهذه المسؤوليات . لذلك سعى لينين لعقد الصلح من اجل كسب فرصة زمنية تستطيع خلالها الجمهورية البلشفية ان ترسخ اقدامها وتقضي على كل قوى الردة التي بدأت في التجمع لشن الحرب الداخلية بمساعدة الاعوان الامبرياليين . وكان لينين واعيا بان استمرار الحرب سوف يؤدي الى انهاء الثورة البلشفية ، اذ انه سيسمح للاعداء الداخليين والخارجيين الانقضاض على الثوره وتصفيتها . اذن ، كان لينين يدافع بعمليه الصلح ومن حيث المبدا عن سلطة ثوريه ، هي سلطة البلاشفة والتي كان نجاح الثورة موقوفا على ثباتها وترسيخها .

ب ـ ان وضع روسيا كان منهكا اشد الانهاك . اذ ان الحرب الامبرياليه كانت قد كلفت البلاد الكثير ماديا وبشريا الى درجه انها لم تستطع مطلقا مواصلة القتال . ولذلك كان لا بد من اخذ فترة صلح يستطيع لينين اثناءها ان يعيد تنظيم قوى البلاد الماديه والمعنويه . العسكرية والمدنية والتي لم تكن متوفرة في تلك الفترة حيث وصفها لينين :

« ان الشعوب التي عدتها محررة دامت ثلاث سنوات لا تستطيع مواصلة الحرب دون تنفس . وان الحرب اذا لم تكن ثمة القوة الكافية لتنظيمها على نطاق الوطن بأسره تولد في غالب الاحيان نفسية الانهيار اللازمة للملاك الصغير . لا نفسية الطاعة الحديدية اللازمة للبروليتاري » .

(الصبيانية اليسارية والنزعة البرجوازية الصغيرة)

٢ ـ الظروف الخارجية

عند عقد صلح بريست كان لينين يراهن على عدة قضايا كانت ستخدم تاكتيكه الثوري في دفع الخطر المحدق بالجمهورية السوفياتية الفتية، وانهاض البلاد على قدميها بعد ان انهكتها الحرب الامبريالية بحيث لم تعد قادرة اصلا على مواصلة القتال . هذه القضايا هي التي كانت ستساعد لينين في استعادة التنازلات التي فرضتها معاهدة بريست :

أ ـ ان عقد الصلح سوف يؤدي بالضرورة الى تطاحن وتصارع القوى الامبريالية وذلك من اجل تقاسم النفوذ والسيطرة على اوروبا . اذ ان لينين توصل بتحليله الماركسي لطبيعة الصراعات الاستعمارية القائمة بين الدول الرأسمالية ، والتي سوف تستمر وتتصاعد بعد عقد الصلح ، مما يؤدي الى انهاكها ، الى القول بان عقد الصلح قد اضعف على كل حال سعي الامبرياليين الى عقد صفقة في الميدان الدولي ، وان عقد الصلح قد ادى الى تفاقم حدة الصراع في الميدان الدولي » (الصبيانية اليسارية والنزعة البرجوازية الصغيرة) .

ب ـ ان عقد الصلح سوف يكون كسبا للوقت لا اكثر سيسهل على القوى الاشتراكية واحزاب الطبقة العاملة في اوروبا ان تهب للانتفاضة ضد النظام الرأسمالي ، حين تكون الدول الرأسمالية مشغولة في صراعاتها الذاتية . ان حمية الانتفاضات الداخلية والثورات ضد الانظمه التي عقد لينين الصلح معها وخاصة المانيا كانت شيئا مسلما به من قبل لينين والبلاشفة جميعا . الا انه في الفترة التي عقد الصلح فيها لم يكن قد وصلت قوة الجبهة الاشتراكية الى الدرجة التي تستطيع تحطيم الانظمة الامبريالية في بلدانها ، وهذا ما وضحه لينين بقوله « طالما لم تنشب ثورة اشتراكية عالمية تشمل عدة بلدان ، وقوية بحيث تغلب على الامبريالية العالمية ، فان الواجب الصريح للاشتراكيين الظافرين في بلد واحد (وخاصة اذا كان متأخرا) ، هو الامتناع عن قبول المعركة ضد العمالقة الامبرياليين وانتظار ان يؤدي الصراع فيما بين الامبرياليين الى اضعافهم اكثر ايضا ، وان تقرب اكثر الثورة في البلدان الاخرى » .

(الصبيانية اليسارية والنزعة البرجوازية الصغيرة)

هذه هي الحسابات الداخلية والخارجية التي اعتمدها لينين حين وافق على صلح بريست والذي اعتبر الموافقة عليه تاكتيكا اثبتت الاحداث صحته .

ـ فهل ان مثل هذه الحسابات تنطبق على واقعنا العربي الان ؟

ـ اي هل ان طبيعة الظروف السائدة داخل الوطن العربي الان هي نفسها التي سادت في روسيا بعد ثورة اوكتوبر او حتى قريبة منها ؟

ـ هل ان طبيعة العلاقات الدولية مشابهة لتلك التي كانت في تلك الفترة ؟

ـ ثم هل ان التفاعلات والقوى المختلفة في معسكر العدو هي نفسها التي سادت في معسكر الامبرياليين اثناء صلح بريست ؟

الفرق بين سلطة لينين الثورية التي وقعت صلح بريست وبين الذين يحاولون التستر خلف نظرية ليوقعوا وثيقة الاستسلام مع العدو الصهيوني

اننا قبل ان نقول « لا » ردا على كل هذه الاسئلة علينا ان نطل على تفصيلات الاجابة على كل سؤال من هذه الاسئلة :

١ ـ ان اوضاع الوطن العربي تختلف كليا عما كانت عليه الاوضاع في اوروبا انذاك . حيث ان الحرب التي تقوم بيننا وبين عدونا هي حرب تحريرية عادلة تخوضها جماهيرنا من اجل دحر العدو الاسرائيلي المغتصب واستعادة حقوق الشعب العربي الفلسطيني كاملة . ولهذا فانها تختلف جذريا عن تلك الحرب الامبرياليه التي خاضتها الدول الرأسماليه من اجل تقاسم النفوذ في اوروبا والعالم .

من هنا تصبح من اهم مهمات القوى الوطنية والاشتراكيه العربيه الالتحام الكلي مع الجماهير وخوض الحرب من اجل انتصار قضية الجماهير العادلة . وان اية محاولة لاضفاء صفة اخرى لطبيعة « الصراع العربي ـ الاسرائيلي » يترتب عليها الردة في خوض النضال ضد العدو الصهيوني ، هو خيانة للمبادىء الثورية ولقضية الجماهير وطموحاتها الوطنية المشروعة .

٢ ـ ليس هناك اية امكانية للمقارنة بين اوضاع الوطن العربي القادر على النضال والكفاح لفترة طويلة بما يملكه هذا الوطن من طاقات بشرية وامكانيات مادية كبيرة كالبترول ، مع وجود جبهة تحالف عالمية واسعة تضم القوى الاشتراكية وقوى التحرر الوطني في العالم وبين اوضاع روسيا عام صلح بريست .

ففي روسيا كانت الثورة البلشفية التي استلمت السلطة هي السبب الرئيسي الذي دفع لينين لتوقيع الصلح من اجل الحفاظ على هذه الثوره وتثبيت اركانها . اذ ان استمرار الحرب كان سيسهل على الامبرياليين والاعداء الداخليين القضاء عليها .

اما في وطننا العربي ، فصحيح ان هناك قوى ثورية لا زالت ناشئة ، كحركة المقاومة وفصائل حركة التحرر الوطني العربي ، الا ان هذه القوى الثورية سوف لن تتعرض الى الدمار من استمرار الحرب . بل بالعكس ان استمرار القتال سوف يخلق مناخا ثوريا مناسبا يساعد هذه القوى على الالتحام الفعلي مع اوسع الجماهير الشعبيه . بعكس ما يكون انعكاس هذا المناخ الحرب، سلبا على القوى الرجعية الحاكمة والمرتبطة استراتيجيا مع الاستعمار والامبريالية، وان تبدو في بعض جوانب المعركة على تناقض ثانوي مع قوى الاعداء .

لقد اثبتت حرب تشرين بالملموس الرغبة غير المحدودة عند الجماهير العربية في استعدادها للحرب العادلة والقتال من اجل قضيتها .

ان استمرار القتال بالاضافة الى انه السبيل الوحيد لتحطيم العدو واعادة الحقوق السليبة كاملة ، فانه يشكل الارض الخصبة لنمو وانتعاش الحركة الثورية العربية . ومن هنا نفهم تهالك بعض الانظمة العربية على اتفاق الفصل والاستسلام واعطاء التنازلات والقبول بمؤتمرات السلام .

٣ ـ لا يمكن اعتبار اتفاق الفصل واعادة العلاقات مع الولايات المتحدة الامريكية والموافقة على الذهاب الى مؤتمر السلام خطوات تاكتيكية مطلقا ، وانما هو سياسة استسلامية واضحة .

ان اي تاكتيك يجب ان يخضع لاستراتيجية واضحة تحدد على المدى الطويل اهداف النضال وطموحاته . فهل يمكن للانظمة العربية وخاصة النظام المصري ان يدعي لنفسها اتباع تاكتيك يخدم استراتيجيه ما ؟

ان اي ادعاء بذلك ، هو ادعاء مزيف وباطل ، اذ ان سياسة النظام المصري كمثال لمجموعة كبيرة من انظمة الاستسلام قد ابتعدت كليا عن النضال من اجل القضية . حيث ان سياسته ومنذ استلام السادات الحكم قد ارتدت الى فترة ما قبل ١٩٥٢ ، الى سياسة « تمصير » القضايا والمشاكل الوطنية وعزلها عن اوضاع المنطقة العربية . ومن هنا ينبع الاختلاف . اذ ان الهدف الاستراتيجي للجماهير العربية هو تحرير كامل التراب الفلسطيني . اما ما يطمح اليه النظام المصري، وهو العمود الفقري لدول الحل السلمي ومؤتمراته التصفوية فهو الوصول الى حل مشكلة مصر فقط مع اسرائيل وبعدها .. فليأت الطوفان !!

فعلى ضوء كل هذه المعطيات لا يمكن اعتبار مسيرة هذه الانظمة خطوات تاكتيكية يمكن ان تقارن بصلح بريست الذي كان فعلا مساومة تاكتيكية ضمن خط استراتيجي ثوري واضح عبر عنه لينين بكل دقة حين قال :

« ليس المقصود تجنب المعركة على الدوام وانما تجنبها في الظروف الراهنة » . لقد راهن لينين بشكل قاطع على معركة آتية يرمي فيها الغزاة الى الخلف خارج الحدود ويسترد اوراق التنازلات التي فرضت على روسيا في ظروفها الحرجة .

٤ ـ ان اسرائيل تشن حربا عدوانية على الجماهير الفلسطينية والعربية ، كما ان الكيان الاسرائيلي بمجمله كيان مرتبط بالاستعمار وركيزة من ركائزه المتينة على ارض الوطن العربي ، حيث ان التكوين الاجتماعي والاقتصادي لاسرائيل هو تكوين استعماري ـ استيطاني . لذا لا يمكن القول مطلقا ان صلحا او ايقافا للقتال سوف يزيد من تناقضات المجتمع الاسرائيلي او ان يفجر صراعا بين الاطراف الامبريالية ، كما توقع لينين بالنسبة للدولة الامبريالية انذاك . ان مجمل التطورات التي حصلت على الصعيد الداخلي في اسرائيل في السنوات الاخيرة وبروز ظواهر التناقض في بنية المجتمع الاسرائيلي جعل الجبهة الشعبية ترقبها باهتمام ، الا اننا لا زلنا مع تحليلنا العلمي بأن التناقض الرئيسي هو بين المجتمع الاسرائيلي، كونه مجتمعا عدوانيا ذا خصوصية متميزة ، قاعدته الاستعمار الاستيطاني ، وتحكمه طغمة عسكرية شوفينية هو افراز طبيعي لتركيبة هذا المجتمع والافكار الصهيونية السائدة ، وبين الجماهير الفلسطينية المقهورة المشردة عن وطنها والجماهير العربية . كما اننا لا زلنا امام قناعاتنا بأن الاداة الرئيسية التي سوف تحسم هذا التناقض لصالح الجماهير الفلسطينية لا تكون الا حركة المقاومة وحركة التحرر الوطني العربي مع الاخذ بعين الاعتبار لدور اليسار الذي سيبرز في المجتمع الاسرائيلي عند اشتداد حدة التناقض والصراع .

من هنا يتبين بأن استراتيجيا وعلى ضوء الظروف المميزة لقضيتنا لم تبن ، كما كانت بالنسبة الى لينين امام صلح بريست على حمية انتفاضة البروليتاريا في الدول الامبرياليه المعادية وتحطيم الانظمة الرأسمالية وبالتالي المساعدة في انقاذ جمهورية البروليتاريا الفتية من الدمار .

ان استمرار الحرب والقتال فقط هو الكفيل بتصليب عود الاداة الرئيسية لحل التناقض بين الجماهير الفلسطينية والعربية والمجتمع الاسرائيلي . اما السلام والصلح واتفاق القتال فانه سوف يؤدي الى محاصرة وملاحقة هذه الاداة ، اي المقاومة وحركة التحرر الوطني العربي كما وضح من تجارب الاعوام الماضية وخاصة منذ عام ١٩٧٠ في الاردن وفي لبنان .

كما ان استمرار القتال سيدفع بظواهر التناقض في البروز على سطح المجتمع الاسرائيلي ويدفع اليسار الى مواقع تصبح فيه الرؤيا واضحة لمصلحته التي لا ترتبط بسياسة الطغمة الحاكمة ولا بالتركيبة العنصرية للمجتمع الصهيوني الاستعماري ، وانما مع الطرف الاخر ، مع الجماهير الفلسطينية . اما السلام المقترح فانه سوف يكرس الهيكل الفاشي العسكري للمجتمع الاسرائيلي وسيدفع بالتناقضات الى الخلف وبكل الوسائل والاساليب وسيزيد من عدوانية المجتمع وشوفينيته وامبرياليته .

٥ ـ ان اي سلام على ضوء المعطيات الحالية وبالشكل المقترح سوف يفتح الباب امام هجمة امبريالية شرسة في المنطقة ستكون ركيزتها اسرائيل والرجعية العربية . اذ ان التطورات الاخيرة بالنسبة لاهمية الوطن العربي النفطية على مستقبل البلدان الرأسمالية سوف تدفع الامبريالية وعلى رأسها امريكا لاستخدام كافة الوسائل للسيطرة على المنطقة ويعني هذا تصفية شاملة للحركة الوطنية العربية بكل فصائلها ، وقهرا جديدا للجماهير العربية وتغييبا للقوى الوطنية والاشتراكية .

٦ ـ ان صلح بريست كان مساومة تهدف الى كسب الوقت الى حين نضوج الظروف المواتية ومن ثم الانقضاض عليه وتمزيقه . ولقد كان هذا الامر واضحا في ذهن لينين منذ اول لحظة ابتدأت فيها مفاوضات الصلح . واثبتت الاحداث صحة توقعات ومخططات لينين . اذ لم تمض بضعة اشهر على توقيع الصلح حتى اعلنت اللجنة التنفيذية لعامة روسيا في ١٣ تشرين الثاني سنة ١٩١٨ وعلى اثر سقوط النظام الملكي في المانيا ، الغاء معاهدة بريست الجائرة .

فهل من الممكن ان تجول في خاطر اي عاقل فكرة عقد اتفاق سلام مع اسرائيل يمكن تمزيقه عند هبة اول ريح مواتية كما فعل لينين بالنسبة لصلح بريست ؟

ان اي استقراء لتطور العلاقات الدولية واي دراسة لطبيعة ومحتوى مشاريع السلام التي طرحت في المنطقة لا يمكن ان يولد القناعة بان اي اتفاق سلام سوف يكون قصير العمر يمكن تمزيقه بسهولة . اذ ان كل المشاريع التي طرحت على ضوئها اقتراحات السلام كانت تدور حول قرار مجلس الامن ٢٤٢ . لقد تناولت الجبهة هذه النقطة بالذات في المذكرة التي رفعتها الى اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية بتاريخ ٨ تشرين الثاني ١٩٧٣ حول مؤتمر السلام جاء فيها :

« ان قرار مجلس الامن يصدر ما ينص على ضرورة انسحاب اسرائيل من الاراضي التي احتلها في حرب ٥ حزيران ينص على ضرورة انهاء اسرائيل وحقها في الحياة وتوفير حدود امنة لها وتوفير سلام دائم في ظل وجود اسرائيل وبقائها وضمان سلامتها ..

ان قرار ٢٤٢ يعتبر ما يلي عدوان ١٩٦٧ او شيئا منه قابلا للتفاوض شبه شرعيا وتحولنا عدوان ١٩٤٨ وانه من الواضح كذلك على ضوء ميزان القوى القائم ، ان اسرائيل والامبرياليه لن تنسحب من الاراضي التي احتلتها في حرب ٥ حزيران مقابل وثيقة ورقية تستطيع ان تمزقها في اي وقت تريد . ان هذا الكلام يحمل كثيرا من الاحلام والتمنيات . ان الامبريالية لن تكتفي بوثائق ورقية . بل انها ، حسبما ينص قرار ٢٤٢ ستعرض مجموعة من الاجراءات المادية وغير المادية : المناطق المنزوعة من السلاح ، الوجود الدولي ، الاعتراف ، التعامل الاقتصادي .. الى اخر ما هنالك ، استنادا الى فقرة واضحة في قرار ٢٤٢ وهي شرعية الوجود الاسرائيلي وحقه في الحياة وضرورة ايجاد سلام دائم ومضمون في المنطقة » .

من كل هذه الحقائق يتبين لنا عدم علمية المقارنة والادعاء حول التشابه بين صلح بريست وصلح السلام العربي ـ الصهيوني المقترح :

ـ ان صلح بريست كان هدفه المحافظة على السلطة الثورية الناشئة في الاتحاد السوفياتي ، اما الصلح العربي ـ الصهيوني فهدفه المحافظة على الانظمة الرجعية وانظمة الاستسلام .

ـ ان صلح بريست كان يهدف فسح المجال امام سلطة البروليتاريا لكي تترسخ وتنمو . اما الصلح العربي ـ الاسرائيلي فهدفه القضاء على البذور الثورية التي تولدت بعد عدوان ١٩٦٧ .

ـ ان صلح بريست عقدته سلطة ثورية ـ على رأسها لينين ـ والصلح العربي ـ الصهيوني ، تعقده انظمة وقوى رجعية وبرجوازية صغيرة مستسلمة .

ـ ان صلح بريست كان صلحا تكتيكيا ضمن مسيرة ثورية استراتيجية واضحة ومتبلورة، اما الصلح العربي ـ الصهيوني فهو صلح استراتيجي مع الامبريالية ـ بحكم بنية هذه الانظمة وتكوينها الطبقي ومصالحها ـ كما تشهد بذلك كافة مواقف وتصرفات هذه الانظمة .

ومن كل هذه الحقائق يتبين لنا ان مؤتمر السلام وعقد اي صلح هو تنازل استراتيجي عن حقوق شعبنا واعتراف كامل بواقع الكيان الصهيوني . ولهذا يجب ان يقابل برفض شديد من قبل كل القوى الوطنية الشريفة في كل مكان ■■

* صلح بريست : معاهدة صلح بين روسيا السوفياتية ودول الحلف الرباعي (المانيا ـ النمسا ـ المجر ، بلغاريا ، تركيا) تم التوقيع عليها في ٣ آذار سنة ١٩١٨ . كانت شروط هذا الصلح بمنتهى القساوة بالنسبة لروسيا السوفياتية . فبموجب معاهدة الصلح كان يتعين ان تخضع بولونيا وكل منطقة البلطيق تقريبا وقسم من بيلوروسيا لاشراف المانيا والنمسا ـ المجر ، وان تنفصل اوكرانيا عن روسيا السوفياتية وتتحول الى دولة تابعة لالمانيا . وان تتبع مدن قرص وباطوم واردهان لتركيا . وفي آب ١٩١٨ فرضت المانيا على روسيا معاهدة اضافية واتفاقية مالية تضمنتا مطالب لصوصية جديدة . بعد ثورة تشرين الثاني سنة ١٩١٨ في المانيا ، اعلنت اللجنة التنفيذية المركزية لعامة روسيا في ١٣ تشرين الثاني ١٩١٨ الغاء معاهدة بريست .

(مؤلفات لينين)